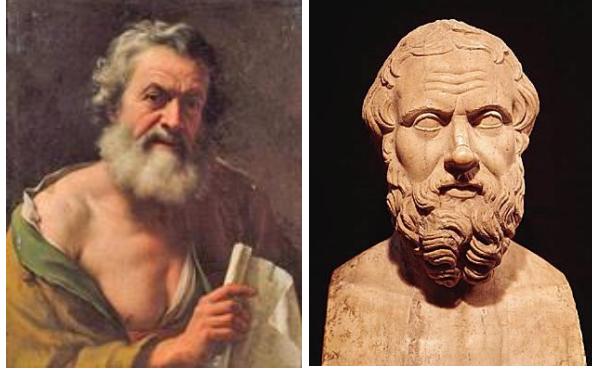
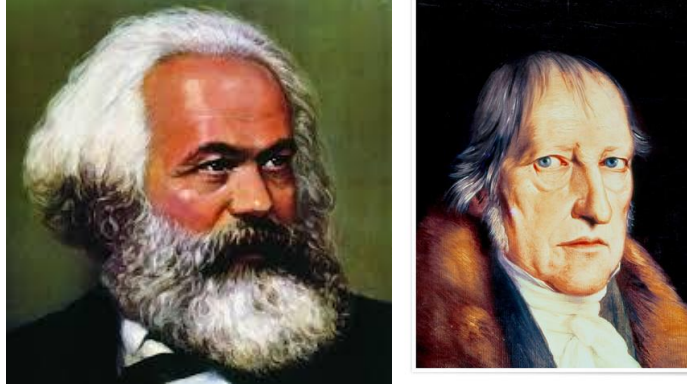


## حول إشكاليات كتابة وقراءة التاريخ



هيرقليطس

هيرودوت



ماركس

هيجل

إعداد: د. أحمد حسن دحلي

### مدخل:

هذه الورقة تطرح أسئلة للنقاش، أكثر مما تقدم أجوبة للإشكاليات، وذلك لأن الاجوبة العلمية والواقعية والصحيحة بهذا الحجم، في تقديري لا تأتي من شخص واحد، ولا يمكن بلورتها في خلال ندوة واحدة، ولكن الحوار المفتوح يشكل بالتأكيد المدخل السليم لحلول ناجحة لإشكاليات محورية، مثل كيفية كتابة وقراءة التاريخ وخلافها. وإذا ما تأملنا عنوان الورقة، فإنها لا تطرح كل الإشكاليات، بقدر ما تتناول بعض الإشكاليات التي قد يعتبرها البعض مسلمات بديهية، ولكن وكما معروف، فإن مسلمات البعض، هي إشكاليات البعض الآخر، وإن إشكاليات البعض هي بنفس المستوى قد تكون مسلمات البعض الآخر.

التاريخ hisoty هو الذاكرة الجماعية لأي شعب من الشعوب، وان التاريخ

History هو تاريخ المجتمع الدولي برمته، أي تاريخ الانسانية جمعاء.

ويعزى ذلك الى كون العلم الوحيد الجامع المانع لجميع العلوم هو التاريخ الذي يمتد من تاريخ الطبيعة بكل اقسامه الى تاريخ الانسانية بشتى فروعها من علم الاجتماع ، وعلم النفس، والفلسفة التي كانت في يوم من الأيام أم العلوم... الخ.

- التاريخ لا ينسى ولا يرحم.

- المؤرخ ينسى ويرحم.

والسؤال الذي يطرح ذاته بذاته هو: هل يوجد ثمة تاريخ من دون مؤرخ؟

والجواب هو نعم، وذلك بحكم إن الذاكرة الفردية والجماعية تسجل الاحداث التي تدرج سواء في الوعي أو في اللاوعي، وهذا ما تجلى في عملية الحفاظ على جزء لا يستهان به من تاريخ الانسانية تم تناقله من قبل الاجيال المتعاقبة عن بعضها البعض، قبل بداية الكتابة وحتى بعدها، ويعزى ذلك لأسباب عديدة، وليست بالضرورة أن تكون كلها سياسية، وإن كانت السياسة تستحوذ على حصة الاسد في هذا الشأن.

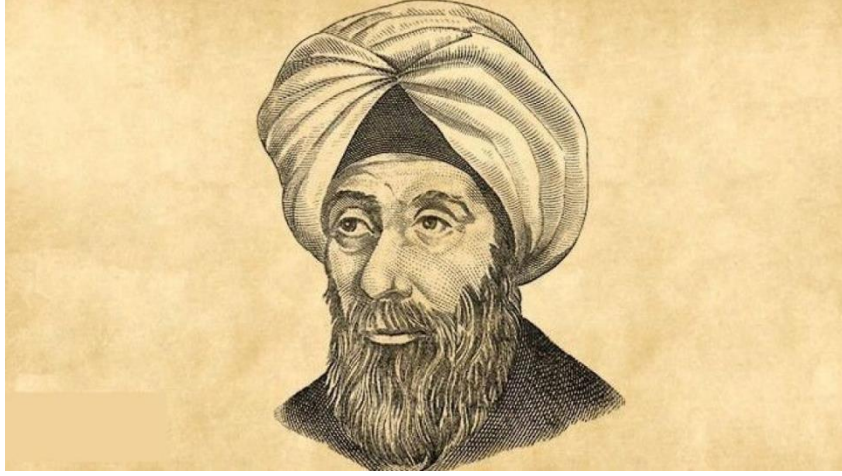
وإذا كان هناك ثمة تاريخ من دون مؤرخ، فبالمقابل لا يوجد تاريخ التاريخ أو فلسفة التاريخ بلا مؤرخ فلاسفة التاريخ وفيلسوف المؤرخين.

## حول تعريف التاريخ

1 - إن أب التاريخ هيرودوت 480 - 425 قبل الميلاد، عرف التاريخ في مقدمة اعماله التاريخية بالقول انه كتب ما كتب " للحيلولة دون زوال الاحداث من الذاكرة ". فعملية تسجيل الاحداث لكي لا تنسى أو تمحى من الذاكرة، هو لب التاريخ، إن لم يكن التاريخ ذاته.

2 - لقد ذهب عبد الرحمن بن خلدون 1332 - 1406، بعيدا في تعريف التاريخ، وشكل منعطفا جديدا في كتابة وفهم التاريخ عندما عرف التاريخ على الوجه التالي: " فإن فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الامم والاجيال، وتشد اليه الركائب والرحال، وتسمو لمعرفته السوقة والاغفال... وتتساوى في فهمه العلماء والجهال. إذ هو في ظاهره لا يزيد عن اخبار عن الايام والدول والسوابق من

القرن الأول... وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق.



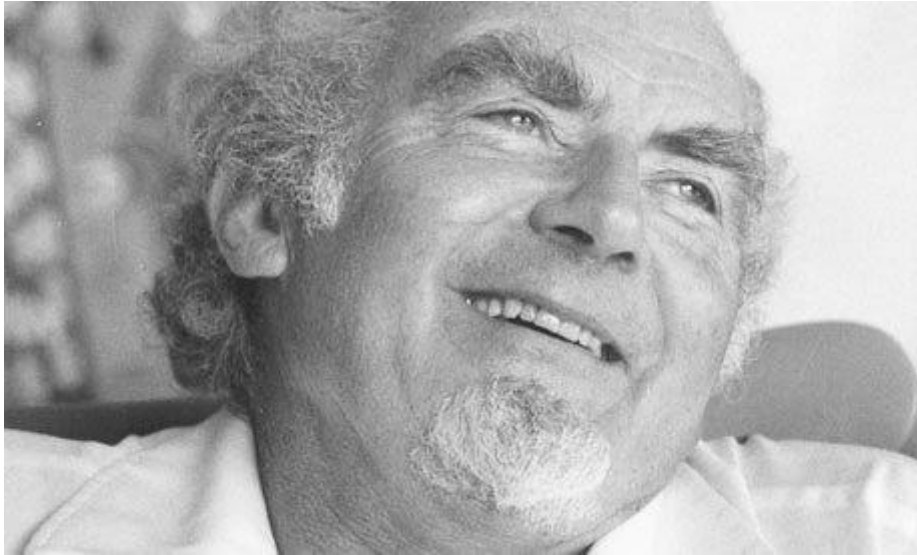
ابن خلدون

فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق... أعلم إن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الامم وأخلاقهم، والانبيا في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم. وحتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في احوال الدين والدنيا، فهم محتاج الى مأخذ متعددة، ومعارف متنوعة، وحسن النظر وتثبيت، يقضيان بصاحبهما الى الحق، وينكبان به عن المزلات والمغالط، لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم اصول العادة، وقواعد السياسة، وطبيعة العمران، والاحوال في الاجتماع الانساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق. وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وايمة النقل من المغالط والحكايات والوقائع لإعتمادهم على مجرد النقل غثا أو سميئا، ولم يعرضوها على اصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار، فضلوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط."

أولا: حول إشكاليات كتابة التاريخ

أنواع الدراسات التاريخية

1 - دراسة مسألة محددة ومحدودة وتحليلها، وتسليط الاضواء عليها من جميع جوانبها، وتفكيك بنيتها التحتية، ورصد آفاقها المستقبلية عبر ديناميكياتها متعددة الابعاد، كإعداد دراسة عن أبعاد ودلالات تحرير مدينة أفعبت، وسقوط جبهة نادو - إز العسكرية الاثيوبية في 20 مارس عام 1988 في سياق مسير الثورة الارترية، تلك المعركة المفصلية، التي قارنها المؤرخ البريطاني بازيل دافيدسون 1914 - 2010، بمعركة ديان - بيان - فو التاريخية الشهيرة، لكونها أثبتت تاريخيا وعسكريا حكمة وحنكة قرار الانسحاب الاستراتيجي الذي اعتمدته الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا في عام 1978، بعد تدخل دولي واقليمي ضد الثورة الارترية.



بازيل دافيدسون

فبفضل ذلك القرار حافظت الثورة الارترية على قدرتها البشرية وعلى معداتها وآلياتها العسكرية، بتخندقها في قاعدتها الخلفية، مدينة نقفة المحفوفة بسلسلة جبال شاهقة، وهكذا ابطلت فعالية القوات الجوية الاثيوبية والاسلحة الثقيلة من دبابات وصواريخ، ومدافع بعيدة المدى، واستنزفت حملات الجيش الاثيوبي المدعوم من الاتحاد السوفيتي السابق والمانيا الشرقية السابقة، وكوبا، واليمن الجنوبي السابق على مدى عشر سنوات 1978 - 1988، مستوعبة عشر حملات عسكرية متتالية كانت تهدف الى القضاء على الثورة الارترية، ثم أخذت مبادرة الهجوم الكاسح في حرب غير متكافئة عددا وعتادا، وقلبت المعادلة العسكرية الكلاسيكية رأسا على عقب، وكسرت العمود الفقري للجيش الاستعماري الاثيوبي في معركة

تحرير أفعبت، التي مهدت ارضية لعملية " فنقل " التاريخية وتحرير مدينة مصوع الاستراتيجية في 8 فبراير 1990، وفتحت في ابواب تحرير اسمران العاصمة في 24 مايو 1991، وإجتثاث جذور الاستعمار الاثيوبي عن كامل التراب الوطني الارتري، بتحرير مدينة - ميناء عصب في 27 مايو 1991.

2 - دراسة كرونولوجية: أي دراسة الاحداث التاريخية من خلال تسلسلها الزمني، كإعداد دراسة مثلا تتناول تاريخ ارتريا منذ الاستعمار وحتى الاستقلال، والتي تحتوي بالضرورة على فصول عن الاستعمار الايطالي، والانتداب البريطاني، والاتحاد الفيدرالي، والاستعمار الاثيوبي، والثورة الارترية.

3 - دراسة قضية معينة على مدى تاريخي، مثل تبلور الهوية الارترية على مدار قرن كامل. ويذكر إني اعددت دراسة، في تسعينيات القرن المنصرم، بعنوان " ارتريا: تاريخ بلد ونضال شعب " رصدت فيها هذه الظاهرة عبر تجلياتها وابعادها التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والنفسية.

### نماذج من الاشكاليات التي تواجه المؤرخ

هناك عدة نماذج إشكالية تصادف المؤرخ، نذكر منها:

1 - **عدم تسلح** المؤرخ بأدوات التاريخ من علم التاريخ والعلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفلسفية والنفسية والجغرافية. أي بإختصار شديد على المؤرخ ان يكون موسوعة ثقافية الى حد ما بجانب تخصصه.

2 - **تهافت** المؤرخ في الكتابة عن حدث تاريخي ما لجملة دوافع واسباب، تؤدي الى معالجة غير موضوعية، والى قراءة سطحية، ونظرة غير متكاملة الابعاد، وصولا الى خلاصة مرتبكة ومربكة.

3 - **وفرة** المعلومات والدراسات مقابل ندرة الوثائق وشحتها. لقد ألفت الالاف من الكتب وبعشرات اللغات عن الثورة البلشفية. وإذا كان ثمة مؤرخ ما يريد كتابة دراسة تاريخية تقدم مساهمة علمية جديدة في هذا الحقل، فعليه أن يلم بكل ما كتب عن الثورة البلشفية، ثم يبدأ في مشروع كتابته من زاوية مختلفة وجديدة، لكي لا يكرر ما كتب، هذا ما لم يحصل على وثيقة نادرة تسلط الضوء على قضية ما، وتشكل إضافة تاريخية.

4 - ندرة الوثائق وشحة المراجع تواجه المؤرخ الذي يريد تناول تاريخ بعض القضايا والثورات، نذكر منها الثورة الارترية 1961 - 1991.

5 - الانتقائية. غالبا ما يلجأ المؤرخ الى الانتقائية لتأكيد صحة وجهة نظر ما، أو يلتف على قضية ما، أو لطمس حقيقة ما... الخ.

6 - الذاتية. الظروف التاريخية أو السياسية أو العسكرية أو الامنية أو الاجتماعية أو النفسية... الخ تقود الى كتابات ذاتية والى دراسات تفتقر للموضوعية، وتحول دون كتابة تناول الحقيقة كل الحقيقة، ولكن آجلا أو عاجلا لا مندوحة من وضع الحقائق التاريخية في نصابها الصحيح.

7 - تصفية حسابات سياسية على انقاض التاريخ. بعض الكتابات " التاريخية " تجعل من التاريخ ساحة لتصفية حسابات سياسية قديمة أو جديدة.

8 - القناعات الاولية والاحكام المسبقة كثيرا ما تفسد على المؤرخ عمله التاريخي، لكونها تحجب عنه رؤية حقائق ووقائع تخالف قناعاته، وتتناقض مع أحكامه المسبقة.



رينيه ديكارت

ولذلك على المؤرخ ان يكون متسلحا بسلاح الشكبة المنهجية التي ارسى أسسها الفيلسوف رينيه ديكارت 1596 - 1650، والتي تقتضي التخلص من كل الاحكام والقناعات المسبقة، وتلزم الباحث أن يبدأ بديّة علمية صحيحة، بوضعه موضع الشك ليس كل المسلمات التاريخية المتداولة وحسب، وإنما كل القناعات التاريخية

الخاصة والعامّة. ثم البداية بروح علمية ترتكز على الشكّية المنهجية التي لا تعدو ان تكون وسيلة وليست غاية في ذاتها، على عكس حال الشكّية المذهبية.

9 - الافتقار للمنهجية العلمية والتاريخية، أي عدم وجود بوصلة، وعدم التجرد من الذاتية قدر المستطاع، وعدم التحلي بروح نقدية موضوعية الى اقصى مدى ممكن، وعدم وجود منطق شكلي خارجي، ومنطق بنيوي داخلي، يفدي بالدراسة ان تكون غير تحليلية، وغير تفكيكية، وغير تركيبية. وباقتضاب شديد غير علمية. علما " من المستحيل معرفة الكل من دون معرفة الاجزاء، وبنفس المستوى يستحيل معرفة الاجزاء من دون معرفة الكل " على حد قول الفيلسوف بليز باسكال.

### التاريخ الارثري

يمكن تسجيل اربع ملاحظات حول تاريخ ارتريا:

#### الملاحظة الاولى تاريخ مكتوب بأقلام:

1 - إيطالية.

2 - بريطانية

3 - اثيوبية [ عهد تفري موكنن، وعهد الدرق، وعهد الوياني ]

4 - عربية

5 - غربية

والسواد الاعظم من هذه الكتابات التاريخية محكومة بعدة حالات: البعض منها محكوم بإشكاليات الاسقاطات الذاتية، والبعض الثاني بالمغالطات التاريخية، والبعض الثالث بالحسابات السياسية، والبعض الآخر بالمصالح الجيو - استراتيجية. فتارة تطغى هذه الحالة على تلك، وطورا العكس، ومرة تلاحظ جميع تلكم الحالات.

## الملاحظة الثانية تاريخ مكتوب بأقلام ارترية:

1 - **فصائل الثورة:** الكتب التاريخية الصادرة عن فصائل الثورة الارترية والتي تتناول مرحلة الكفاح المسلح محكومة عامة بجدلية الصراعات فيما بينها، وهي تتسم بتضخيم الذات ومدحها ، وبتهميش الآخر وقدحه.

2 - **شخصيات سياسية ارترية:** كتاباتها " التاريخية "، إن لم أقل مذكراتها تتجاذبها الحسابات الشخصية، وتصفية بعض الحسابات السياسية، وشخصنة بعض القضايا، والبقاء قيد الدائرة التنظيمية بوعي تارة وبلا وعي طوراً، وغالبا ما يطغى السياسي على المؤرخ ويلوي عنقه، وقلما يحدث العكس.

3 - **مؤرخون ارتريون:** رقم قلنتهم فمؤلفاتهم معظمهما محكومة هي الاخرى بانتماءاتهم التنظيمية، وحساسياتهم السياسية، وتوجهاتهم العقائدية. وليس المطلوب ان ينسلخ المؤرخ عن جلده، ولكن على المؤرخ ان يقتدي بمقولة أرسطو التاريخية والفلسفية " احب افلاطون، ولكني احب الحقيقة أكثر." وأيا كان الامر، وفي جميع الاحوال ينبغي تشجيع كل أشكال الكتابات التاريخية، لأنه وفي تقديري، من دون تراكم كمي للإنتاج التاريخي، لا يمكن بلوغ طور الكتابات التاريخية النوعية المفتوحة.

**الملاحظة الثالثة:** أبرز الإشكاليات التي تصادف الباحث التاريخي، والمؤرخ الارتري على حد سواء هي:

1 - تبعثر الوثائق التاريخية في اثيوبيا واليمن والسودان ومصر وتركيا واليونان والبرتغال وايطاليا وبريطانيا وامريكا... الخ.

2 - عدم كتابة غالبية الشخصيات الارترية التي ساهمت في الحركات السياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية مذكراتها، ورحيل العديد منها.

**الملاحظة الرابعة:** تقع مسؤولية جمع الوثائق على:

1 - الجهات الرسمية وغير الرسمية في جمع الوثائق التاريخية القديمة والحديثة والمعاصرة، لا سيما وان بريطانيا وامريكا افرجتا عن كنوز من الوثائق والتقارير والمعلومات كانت حتى وقت قريب تعتبر من أسرار الدولة.



2 - مراكز الابحاث والدراسات، كالمركز الارترى للبحوث والتوثيق ، والمركز الارترى للدراسات الاستراتيجية... الخ.

3 - مهمة طلبة التاريخ في جمع ما يمكن جمعه من وثائق وتقارير ومعلومات تاريخية مثلا من عام 1941 لغاية عام 1961، ومن عام 1961 حتى عام 1991، عبر إجراء حوارات ومقابلات مع الشخصيات الارترية التي كانت في خضم تلك الاحداث ولعبت بطريقة أو اخرى دورا فيها، وذلك قبل فوات الأوان.

### ثانيا: حول اشكاليات قراءة حركة التاريخ

هناك اجتهادات مختلفة وتوجهات متباينة في تحليل وفهم دينامية التاريخ، وحول ما إذا كان للتاريخ توجه وموجه وغاية:

1- **النظرة الدينية:** اصل فكرة الله تعود الى تاريخ وجود الانسان الذي خلق فكرة الله - الالهة من مظاهر الطبيعة المختلفة وأسقط عليها مشاعره واحاسيسه ورغباته وهواجسه وافكاره، بإيجاز شديد انسن الله - الالهة وجعلها أساس الوجود من ناحية، وبلسما لقلقه الوجودي من ناحية أخرى. ثم تطورت فكرة الله مع بروز الديانات التوحيدية الثلاث، أي اليهودية والمسيحية والاسلام ذات القواسم المشتركة في فهم وتفسير حركة التاريخ، ويعزى ذلك الى اصولها التي تشكل امتدادا لبعضها البعض. وحسب التوراة والانجيل والقرآن:

1 - 1 - الله هو خالق الكون ومحركه الاول والاخير.

1 - 2 - انبياء ورسل الله انيطت اليهم في مراحل تاريخية مختلفة هداية الناس الى " الصراط المستقيم " .

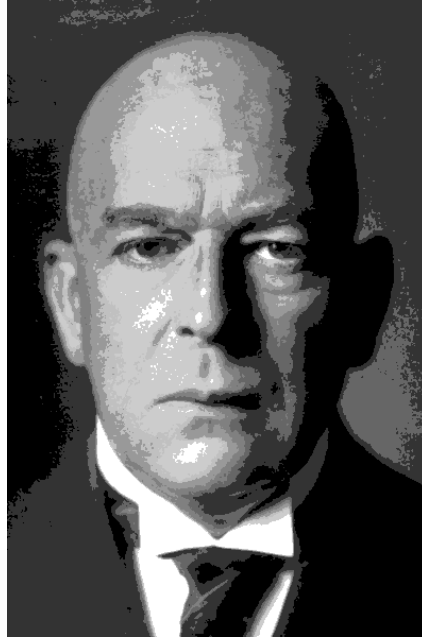
1 - 3 - يعيش الانسان تجربة وجودية بين الحياة والموت بمالها وبما عليها، عبر جدلية الخير والشر، وإشكالية الجبرية والقدرية والحرية، وقضية الوعد بالجنة والوعيد بالجحيم.

1 - 4 - الكلمة الاولى والاخيرة في وجود وإستمرارية وزاؤل الامم والحضارات تعود الى الله خلق الكون والانسان، " ...وتلك الأيام نداولها بين الناس " .

1 - 5 - حياة الدنيا زائلة، تليها حياة الآخرة الخالدة.

2 - **النظرة المثالية:** يقول الفيلسوف عمانويل كنت " 1724 - 1804، ان تاريخ العالم ليس إلا تقدم الوعي نحو الحرية ". بينما يرى فريدريك هيغل 1770 - 1831 التاريخ لا يعدو ان يكون تقدم الانسان نحو مستويات اعلى من العقلانية والحرية. وإن تاريخ العالم يمثل تطور وعي الروح لحريتها وما يترتب على ذلك من إدراك لهذه الحرية. وبعبارة أخرى ، يؤكد هيغل أن وعي الحرية في التاريخ ينتقل من الاستبداد ، إلى الشعور بأن الحرية هو امتياز للقلّة ، لفكرة اعماق، وهي إن الإنسانية حرة في ذاتها ولذاتها.

3- **النظرة الماركسية:** تركز على النظرية المادية التاريخية التي بلورها كارل ماركس 1818 - 1883، والتي تفسر حركة التاريخ بصراع الطبقات على أرضية اقتصادية تشكل البنية التحتية، وفي طبيعة نظام حكم سياسي بقيمه وثقافته وبقية ادوات سلطته الناعمة والخشنة، التي تجسد البنية الفوقية، بداية بالشيوعية البدائية ونهاية بالشيوعية الناجزة، مروراً على التوالي بالإقطاع والرأسمالية والاشتراكية.



اوسفالد اشبنغلر

4 - **النظرة البيولوجية:** حاول اوسفالد اشبنغلر 1880 - 1936، تفسير حركة التاريخ بطريقة بيولوجية تبدأ بالطفولة وتنتهي بالشيخوخة بعد ان تمر بطور المراهقة والرشد ، وهكذا دواليك.

5 - النظرية التوينبية: لجأ المؤرخ ارنولد توينبي 1889 - 1975 الى علم النفس لتفسير حركة التاريخ عبر نظرية " التحدي والاستجابة " .



ارنولد توينبي

6 - النظرية الطبيعية: بعض فلاسفة التاريخ يسقطون فصول الطبيعة الاربعة على حركة التاريخ تسقط حرك التاريخ، بمعنى ان تاريخ الانسانية محكوم بأربعة مراحل تاريخية أي الشتاء والربيع والصيف ثم الخريف الذي يمهد ارضية حلول الشتاء... الخ



سامويل هنتنجتون

7 - النظرية " الحضارية " بلور سامويل هنتنجتون 1927 - 2008 فكرة صراع الحضارات كمحرك للتاريخ في كتابه " صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام الدولي " .

يعتقد المفكر الامريكي صامويل هنتجتون بأن بعد زوال الاتحاد السوفيتي السابق، ولى عهد الايديولوجيات الى غير عودة، مرة واحدة والى الابد. وحل عهد جديد محكوم بصراع قديم - جديد، ألا وهو صراع الحضارات. ففي نظره:

1 - التاريخ الانساني، هو تاريخ الحضارات، ومن المستحيل أن نفكر في تاريخ الانسانية بأي طريقة مغايرة.

2 - الحضارات الرئيسية المعاصرة هي:

1 - 2 - الحضارة الصينية.

2 - 2 - الحضارة اليابانية.

3 - 2 - الحضارة الهندية.

4 - 2 - الحضارة الاسلامية.

5 - 2 - الحضارة الغربية.

6 - 2 - الحضارة الامريكية اللاتينية.

3 - سيتم تنظيم العالم على اساس الحضارات، أو لن ينظم إطلاقاً. أولاً يجب ترتيب الامور داخل الحضارات ذاتها، ثم بين الحضارات، تفادياً للصدام، وللعودة الى البربرية.

4 - في عالم متعدد الحضارات، الوضع المثالي هو أن يكون لكل حضارة من الحضارات الرئيسية مقعد دائم على الأقل في مجلس الأمن.

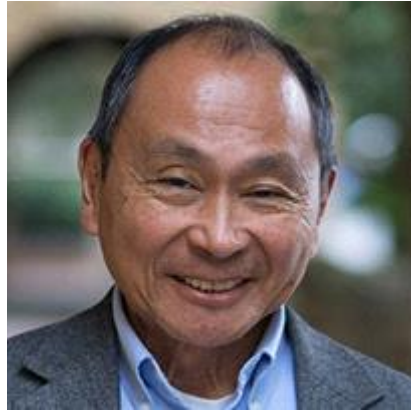
5 - وعلى المستوى العالمي، تبدو الحضارات وكأنها تستسلم للبربرية في جوانب عديدة، مخلفة صورة لظاهرة غير مسبوقه. وربما تنزل على الانسانية عصور كونية مظلمة.

6 - صدام الحضارات هو الخطر الأكبر تهديداً للسلام العالمي. والضمان الاكيد ضد حرب عالمية، هو نظام عالمي يقوم على تعايش الحضارات.

الملاحظ ان صامويل هنتنجتون لم يلاحظ، هذا إن لم يسقط عمدا وقصدا، وجود تداخل بين الحضارات، وعملية تلاحمها أكثر فأكثر، مشكلة مقدمة لبروز حضارة إنسانية واحدة لا تلغي التعددية الحضارية، في عالم محكوم بجديليات جديدة ومتجددة في رحاب العولمة. فهذه الفرضية تبطل نظريته بصورة جذرية ومفحمة.

### ثالثا: نهاية التاريخ ... بداية تاريخ

كتب الباحث فرانسيس فوكوياما " 1952 - ....، الفهم السائد للتاريخ على انه " حدث يحدث " جعل الكثيرين يحاولون إثبات خطأ الفكرة التي طرحتها في كتابي " نهاية التاريخ " بسبب تتالي الأحداث. فهو لم يقصد بنهاية التاريخ، عدم وقوع أحداث تاريخية، وانما فكرته المحورية هي ان التاريخ أخذ صورته ومادته النهائييتين. بمعنى، إن نهاية التاريخ لدى فوكوياما تعني نهاية للتطور الايديولوجي للبشرية، وسيادة الديمقراطية الراسمالية الليبرالية الغربية في جميع أرجاء العالم وهذه الفكرة ليست بالجديدة، بل تعود جذورها الى كل من كانط وهيغل.



فرانسيس فوكوياما

والمشاكل التي تواجه " الديمقراطية الحرة " على حد تعبير فوكوياما، مثل العجز في الميزانية، والتضخم، والفساد، والجرائم، ورواج سوق المخدرات، لا تشكل " تناقضا "، ما لم تكن خطيرة جدا بحيث يتعذر حلها داخل النظام.

ولكن وبالمقابل، فإن فرانسيس فوكوياما لا يعير الاهتمام لقضية في غاية الاهمية، ألا وهي، إن الحضارة العالمية الاحادية التي تلغي الحضارات الاخرى، وتعتبر

نفسها غاية الغايات، لا تعدو أن تكون بمثابة لهاث خلف " سراب الخلود " على حد تعبير المؤرخ ارنولد توينبي.

### رابعاً: التاريخ في عالم العولمة

بفضل الثورة التقنية والمعلوماتية التي فتحت فضاء ادوات وسبل التواصل الاجتماعي، عبر شبكة الانترنت ومختلف المواقع الاليكترونية من مدونات وتويتر وانستغرام ويوتوب وجوجل وياهو وبايدو وويبو... الخ هذا من دون الحديث عن الفضائيات، بحيث لم تعد المحيطات والبحار والحدود تفصل بين سكان العالم، بل بين مدن وقرى ودول ذاتها، هذا مما حول العالم بحق وحقيقة الى قرية كونية عصرية في اتصال مباشر ودائم الى حد بعيد، بكل ما يحمل ذلك بين طياته من نتائج ايجابية وعواقب سلبية.

### بعض مظاهر العولمة وإشكالياتها

1 - لم تعد الدول طليقة اليدين تماما في إدارة شؤونها الداخلية التي غدت بصورة أو أخرى شؤوننا دولية تخص الإنسانية برمتها، بدليل الادانات السياسية، والمقاطعات الاقتصادية، والحصارات الدبلوماسية التي باتت تفرض حينا على بعض الدول من قبل الدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة، وتارة من قبل " المجتمع الدولي " مختزلا في مجلس الامن المحكوم بسياسية الكيل بمكيالين لحسابات سياسية واقتصادية وجيو - استراتيجة للدول الخمس التي تحتكر العضوية الدائمة، مهمشة الى أقصى حد دور ومهمة الجمعية العمومية للأمم المتحدة التي تمثل كل دول المعمورة.

2 - اقتصاد عالم العولمة أضحي محتكرا من قبل بعض الشركات المتعددة الجنسيات، والادهى من ذلك ان 2153 شخص فقط يملكون أكثر مما يملك 60 في المائة من مجمل سكان العالم البالغ 7,5 مليار نسمة.

3 - بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق في عام 1991، سادت لبعض الوقت الاحادية القطبية الامريكية التي شكلت نفيا للثنائية القطبية، أي - المعسكر الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية والمعسكر الاشتراكي بزعامة الاتحاد

السوفيتي - التي برزت بعد نهاية الحرب الكونية الثانية، فاتحة الطريق لنفي النفي على حد تعبير فريدريك هيجل، أقصد التعددية القطبية.

4 - بوادر بروز اقطاب جديدة في آسيا - الصين ، وروسيا والهند - وبعض ملامح القطبية في أوروبا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا، يمثل مؤشرا على بداية مرحلة تاريخية جديدة محكومة بالتعددية القطبية في سياق حضارة إنسانية واحدة، أي التنوع في إطار الوحدة.

5 - يكاد يوجد إجماع بين الناس حول ثوابت تحكم حركة المجتمع الدولي. وتتخلص هذه الثوابت في:

5 - 1 - دعم مسيرة قيام أنظمة ديمقراطية على أساس التعددية الحزبية، والإدارة المؤسساتية، والاسس الدستورية.

5 - 2 - فصل السلطات الاربع عن بعضها، أي السلطة التنفيذية، والسلطة التشريعية، والسلطة القضائية، والسلطة الاعلامية.

5 - 3 - إعتماذ اقتصاد السوق.

5 - 4 - تحقيق العدالة الاجتماعية.

5 - 5 - الشفافية في نشاطات الدولة.

5 - 6 - مراقبة ومحاسبة كل مؤسسات الدولة الفوقية والوسطية والتحتية.

5 - 7 - احترام حقوق الانسان.

5 - 8 - احترام حقوق الاقليات سواء كانت اجتماعية أو دينية أو ثقافية... الخ

5 - 9 - تنشيط وتفعيل المجتمع المدني ممثلا في النقابات المستقلة: نقابة الكتاب والفنانين والمحامين والنساء والعمال والفلاحين وارباب العمل والطلبة... الخ

هذه الثوابت السرمدية الحركة تحتوي على قدر كبير من التناقضات منها:

1 - ان اقتصاد السوق يقود مباشرة الى هيمنة الاقلية على الاغلبية، في حين ان الديمقراطية تقوم على امتثال الاقلية لرأي أو قرار الاغلبية.

2- العدالة الاجتماعية تهدف من حيث المبدأ الى إذابة وازالة الفوارق الطبقيه بغيه خلق توازن بين شتى فئات المجتمع، من دون الذهاب بعيدا، أعني من دون تحقيق نبوءة كارل ماركس، فيما يخص قيام مجتمع تكون الحركة الاقتصادية تركز على قاعدة جديدة وخالقة تقوم على ثورة في عملية الانتاج وفي توزيع الثروة، تعكس قانون الاقتصاد الرأسمالي السائد راسا على عقب، بحيث في خاتمة المطاف، ينتج الجميع حسب طاقته، ويحصد الجميع حسب حاجته.

3 - التعددية الحزبية غدت تكرر في بعض دول العالم التعددية الأثنية، والتعددية القبلية... الخ مخلطة بنية بعض المجتمعات، ومهددة كيانات بعض الدول، وحائلة دون تبلور دينامية الوحدة الوطنية هنا وهناك.

والإشكال كل الاشكال يكمن في خلق نوع من التناسق بين هذه التناقضات في مجتمع دولي يوجد في خضم مخاض تاريخي عصيب ومفتوح على كل الاحتمالات.

### مفاجآت التاريخ أم " مكر التاريخ "

من ضمن اشكاليات رصد وفهم حركة التاريخ هو تداخل أربعة ابعاد بصورة لا تنفصم عن بعضها البعض:

**البعد الاول:** هو الحدث في ذاته.

**البعد الثاني:** ينطوي على فهم هدف ومعرفة غاية الحدث.

**البعد الثالث:** يتعلق بتحديد من فكر وخطط ونفذ الحدث، سواء كان الرئيس أو رئيس الوزراء أو الملك... الخ، أو الحزب أو ائتلاف الاحزاب أو القوى السياسية، أو الحكومة... الخ أو الحكومة، أو الحزب أو ائتلاف الاحزاب أو القوى السياسية، والرئيس أو رئيس الوزراء أو الملك... الخ.

**البعد الرابع:** هو ما تمخض عن الحدث من رد أو ردود فعل وعواقب مباشرة وغير مباشرة ظاهرية وجوانية، بغض البصر عن كونها ايجابية أو سلبية بصورة واعية أو غير واعية على مدى المسيرة التاريخية للشعب، ثم للشعوب بكل خصائصها، ثم للإنسانية جمعاء في المحصلة الختامية، لكونها تصب في مجرى مسيرة العقل الانساني في التحليل النهائي، على حد قول فريديريك هيغل.



وتأسيسا على ذلك يمكن القول:

1 - التاريخ لا يعرف السكون والهدوء والجمود، بل هو في حركة سرمدية، وهكذا يمكن التأكيد على فكرة هيرقليطس بأن " الثابت الوحيد هو المتحرك ".  
والتاريخ لا يكشف عن كل اسراره، هذا مما يؤهله ان على " المفاجأة " وليس على المكر. علما ان " المفاجأة التاريخية " ليست في حقيقة الامر مفاجأة في جوهرها، لكونها تولد وتنمو رويدا رويدا الى أن تبلغ طور الاختمار في انتظار القطرة المفصلية التي تحول التراكم الكمي الى تغير نوعي ليس في الفيزياء وحسب ، بل في التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والنفسي ايضا. ولكن المفاجأة التاريخية تحدث فقط للقيادات والتنظيمات والاحزاب التي تعيش في نرجسية سياسية، بعيدا عن إشكاليات وجدليات الواقع، هذا مما يجعلها لا تصحوا إلا على وقع اشتعال الانتفاضات وانفجار براكين الثورات، أي بعد وقوع الواقعة.

2 - التاريخ لا يسير بصورة مستقيمة ولا بالمسطرة، بالعكس فإن الاحداث التاريخية تتطور بشكل حلزوني، مع وجود حالات تاريخية إستثنائية تسير فيها الامور سيرا قهقرى، مع استحالة العودة الى نقطة البداية بحكم استحالة " السباحة في ماء نهر واحد مرتين " ، على حد قول هيرقليطس، لكون ماء النهر يوجد في جريان دائم، مثله مثل التاريخ الذي توجد ينابيعه في حالة تدفق لا تتوقف.

3 - كل القوى السياسية والفكرية والفنية والاجتماعية والفردية التي تصنع التاريخ، هي ذاتها وليدة حركة التاريخ القديم والحديث، ومؤهلة ان تصنع تاريخا جديدا خاصا واما في ذات الآن، وذلك قبل بلوغ حركة التاريخ الخاص والعام محطاتها التاريخية النهائية بصورة غير متلازمة بالضرورة، تاركة ساحة التاريخ لجدلية تاريخية جديدة خاصة وعامة في عين الوقت.

**تنبيه:** اعدت هذه الورقة في الخامس من مايو 2001 ، وطرحت للنقاش في ندوة ثقافية عقدت في أسمرأ في تلك الفترة، مع إضافات طفيفة.